

## منهج المستشرقين في حفظ وتحقيق المخطوطات العربية - المستشرق جوتهلـف برجستراسر أنموذجاً -

د. عبد اللطيف حني

### مفتتح:

إن تطور الأمم مرتبط بـماضيها وما يشتمل عليه من قيم وآداب وأخلاق وعلوم، وبمدى التوفيق بين هذه المقومات وعصرها، وحرى بكل أمة أن تعتني بموروثها العلمي، وذلك بالاهتمام بعلم تحقيق التراث وحفظه من الضياع والتلف وإخراجه من صفة المخطوط إلى المطبوع لكي يتسنى له السفر عبر الأزمنة المقبلة بأمان.

وقد قدمت الكثير من الدول العربية والإسلامية جهوداً في سبيل حفظ وتحقيق المخطوطات، لكنها تبقى قاصرة أمام كمها وعددها الكثير، الذي ينتظر الخروج للنور ووضعها بين يدي المختصين للاستفادة منه علمياً، لذا تجند الكثير من الدارسين والمهتمين بالتراث العربي الإسلامي لحفظ وتحقيق مخطوطاته ومنهم المستشرقون (برجستراسر، بلاشير، سوناجيه، بروكلمان...) الذين قدموا أعمالاً رائدة وخدمات جليلة وهامة في هذا المجال وغيره خدمة للغة العربية والتراث الإسلامي.

وعليه تستمد هذه المداخلة شرعيتها في تسليط الضوء على أعمال وجهود المستشرقين في حفظ وتحقيق التراث العربي الإسلامي، متخذة من المستشرق الألماني جوتهلـف برجستراسر نموذجاً وذلك بكشف منهجه في تحقيق المخطوط من خلال كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها برجستراسر على طلبة الماجستير بجامعة القاهرة سنة ١٩٣١م، ولقد حظي برجستراسر بتقدير علمي في هذا المجال، فمحاضرات كانت مطمح أنظار جميع العلماء وعلى رأسهم الدكتور طه حسين الذي كان حريصاً على حضورها، وستحاول المداخلة التعرض لمنهجه المراعي جهود سابقيه ومؤسساً لمن يأتي بعده، المعتمد على ثلاثية: النسخ، النص، العمل والإصلاح في التعامل مع المخطوط موضحاً الخطوات العامة والدقيقة للعمل الصحيح بطريقة يسيرة وممتعة، كما نبين قيمة الكتاب العلمية لدى المختصين بهذا العلم وثمره جهد مؤلفه.

### جهود المستشرقين والعرب في تحقيق المخطوط:

إن العناية بالتراث العربي كان ولازال ضرورة تضطلع بها النفوس الغيورة على تاريخ أمتها وعلومها، فكان علم تحقيق المخطوط من العلوم التي قيضت للعلماء والدارسين الاطلاع على مختلف النفائس والذخائر العلمية التي ورثها السلف عن الخلف، فالتحقيق «علم من جهة، وصناعة وإصلاح من جهة أخرى»<sup>(١)</sup>، وترجع أصوله التاريخية إلى أوروبا في القرن الخامس عشر بعد الميلاد، وذلك حين عاد العلماء والدارسون والنقاد إلى المصنفات اليونانية واللاتينية، واهتموا بإحياء علومها قصد

الاستفادة منها في النهضة الأوروبية فيما بعد، فقد شكلت هذه المخطوطات إرثا عظيما بالنسبة للأوروبيين، ومصدرا هاما لثقافتهم العلمية والأدبية، إذ «كانوا يومئذ إذا وجدوا كتابا من كتب القدماء قاموا بطبعه: لا يبحثون عن النسخ الأخرى لهذا الكتاب، ولا يصححون إلا أخطاءه البسيطة، فلما ارتقى علم الآداب القديمة، عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء، وإلى المقابلة بين هذه النسخ المتعددة وكانوا كلما تخالفت النسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الروايات المختلفة ووضعوها في نص الكتاب، وقيدوا ما بقي من الروايات في الهوامش، ولكنهم مع ذلك تعمدوا الانتقاء المهم منها واستتجوا اصطلاحات حديثة، يخالفون بها ما هو مروي في النسخ»<sup>(٢)</sup>.

إن الطريقة المعتمدة من طرف الأوروبيين آنذاك تثبت بداية هذا العلم الذي خطى خطواته الأولى معتمدا على هدف واحد هو إخراج هذه المخطوطات والنسخ إلى الهيئة المتداولة بين الناس، وبإستطاعتها في شكلها الجديد القديم استئناف رحلة الحياة الطويلة وحمل رسالتها إلى الأجيال القادمة، لكن رغم هذه البداية «إلا أنهم في كل ذلك لم يكن لديهم منهج معلوم، ولا قواعد متبوعة، لأنهم لم يكونوا قد فكروا تفكيراً نظرياً في تصحيح الكتب، وأي الطرق تؤدي إليه، أيها لا يؤدي بل قد تؤدي إلى غرض باطل فاسد»<sup>(٣)</sup>.

وما زال دأب الأوروبيين على هذا العمل حتى أواسط القرن التاسع عشر أينما تقطنوا إلى تقنين هذا العلم، ووضع قواعد وأسس لنشر ونقد هذه النصوص والكتب القديمة، معتمدين في ذلك على الآداب اليونانية واللاتينية، ثم آداب القرون الوسطى الغربية، وبذلك خطى هذا طريقه نحو التشكل والتمظهر واتخذ لنفسه قواعد وأسس علمية سار على إثرها العلماء واستأنسوا بها في نشر الكتب وتحقيقها<sup>(٤)</sup>.

وقد عمل المستشرقون بهذه القواعد والأسس العلمية التي تسعى إلى تحقيق الكتب العربية والمشرقية، موظفين خبراتهم السابقة في هذا الميدان، ومسخرين ثقافتهم بالآداب والعلوم اليونانية القديمة في تحقيق ونشر الكتب العربية، إلا «أنهم لم يؤلفوا في ذلك كتابا خاصا يشرح الطريقة ويبين خطواتها، لذلك بقي هذا العلم محورا بين الذين لديهم معرفة وإطلاع على آداب اللغات القديمة اليونانية واللاتينية.

ويعد المستشرق الألماني الدكتور برجستراسر (Bergstraesser) من الرواد الذين ألفوا وخاضوا في هذا الفن، وذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣١م، حيث لقنهم أسس وطرق هذا العلم، وهي التي جمعت في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) الذي سنتخذ منه نموذجا للتطبيق.

وهذا ما يؤكد سبق الذي حققه المستشرقون في هذا المجال، إذ «هم أول من عونا بوضع الأصول والقواعد المتعلقة بتحقيق المخطوطات، وأخرجوا بعضها، ككتاب الفهرست لابن النديم، الذي حققه فلوجل سنة ١٨٧١، ومعجم البلدان ليقوت الحموي، الذي حققه فستقلد سنة ١٨٦٨»<sup>(٥)</sup>.

ولعل المستشرقان الفرنسيان بلاشير (R.Blachère) وسوفاجيه (J.Souvaget) أول من قدما عملا جديا وحقيقيا بعد برجستراسر (Bergstraesser)، وذلك حين أخرجوا كتيباً بالفرنسية تحت رعاية جمعية (جيوم بوده)، في فن نقد النصوص ونشر الكتب تحت عنوان (قواعد نشر النصوص وترجمتها) <sup>(٦)</sup> سنة ١٩٥٤، لكن هذا الكتيب خصص أغلبه بشرح طريقة ترجمة الكتب وقواعدها من العربية إلى الفرنسية، وأقتصر على قواعد مختصرة وإشارات في علم التحقيق مستغنياً عن الأمثلة التوضيحية والنماذج التي تأخذ بيد الطالب لهذا الفن إلى الممارسة الصحيحة والسليمة <sup>(٧)</sup>.

وقد قدمت بعض النقاد العرب جهوداً بعد ذلك تأصل لهذا الفن وتحاول المشاركة في رسم ملامحه وإبرازه معالمه انطلاقاً من الخبرة الأوروبية، حيث تحدث الدكتور محمد مندور بشكل موجز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية عند نقده لكتاب (قوانين الدواوين) لابن مماتي في العديدين من ٢٧٧ و ٢٨٠ من مجلة الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٤٤، الذي أعاد نشره في كتابه الميزان الجديد.

وعند نشر كتاب (تاريخ مدينة دمشق) سنة ١٩٥١ من طرف اللجنة العلمية للمجمع العلمي العربي بدمشق تطرقت في مقدمته لقواعد وأسس تحقيق الكتب بشكل مختصر موجز كما تحدث الدكتور إبراهيم بيومي مذكور عن بعض قواعد نشر الكتب التي استهل بها مقدمة التي وضعها لكتاب (الشفاء) لابن سينا، سنة ١٩٥٣.

بعد هذه الجهود التي كانت تشير بشكل مقتضب وموجز لفن نشر وتحقيق الكتب والنصوص، ينشر الأستاذ عبد السلام هارون كتاباً بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م - ١٣٧٤هـ تحت عنوان (تحقيق النصوص ونشرها)، و«كما يذكر مؤلفه في مقدمته هو ثمرة كفاحه وتجاربه في نشر النصوص القديمة، وهو مجهود لا بأس به، ولكنه مع ذلك لم يحط بالموضوع، وقد أعيد طبعه سنة ١٩٦٥، وكتب على غلافه (تمتاز بإضافات هامة)، وإن كانت لا تختلف في جوهرها عن الطبعة السابقة» <sup>(٨)</sup>.

ويبادر الدكتور صلاح المنجد بنشر كتابه (قواعد تحقيق النصوص) في الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٥ حيث تحدث أصول التحقيق مشيداً بدور المستشرقين وسبقهم العلمي في وضع أسس هذا الفن» وقد استقى الدكتور المنجد القواعد التي ذكرها في مقاله من نهج المستشرقين الألمان ومن خطة جمعية بوده الفرنسية ومن قواعد المحدثين والقدامى فيضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل <sup>(٩)</sup>.

هذا نبذة وجيزة عن دور المستشرقين والعرب في إظهار وإبراز فن نشر وتحقيق الكتب الذي يضرب بجذوره إلى قرون بعيدة لأهميته ودوره في تحريك عجلة الثقافة والآداب والفنون، ويبدو أن للمستشرقين دور عظيم في إرساء قواعد هذا العلم من خلال ما تقدم من أعمالهم المبكرة والتي كانت بداية اتباعها الأدباء والنقاد لابتكار أسس جديدة وطرق علمية حديثة تخدم هذا العلم الذي بدوره يخدم الآداب والثقافة الإنسانية.

نبذة عن سيرة المستشرق برجستراسر جوتهلّف: <sup>(١٠)</sup>

ولد برجستراسر في الخامس من أبريل ١٨٨٦م بأحد ضواحي مدينة بلاون بسكسونيا، في عائلة كان أفرادها من مأموري الحكومة والعلماء والأساتذة، انتسب أبوه وجده إلى الكنيسة البروتستانت بصفتهم قسيسين.

أخذ برجستراسر دروسه الأولى بمدرسة بلاون، حيث تعلم فيها اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والفرنسية، وكانت تتيح المدرسة للطلبة الاختيار بين العربية والانجليزية فأختار العربية، وأخذ معها استثناء الانجليزية، إلى جانب هذه اللغات، كانت تعلم اللهجات الأرمنية القديمة، وبعض اللغات الجرمانية، ثم درس اللغات الشرقية، تعلم أيضا اللغة المصرية القديمة واللغة الآشورية والعربية، كان أحد مدرسي المدرسة له معرفة باللغات الهندية القديمة (السنسكريتية)، فتعلم منه هذه اللغات، إلى أن نال شهادة القبول في الجامعة، وبذلك التحق بجامعة ليبزج سنة ١٩٠٤، ودرس اللغة العربية واللغات الشرقية وتعمق في قواعدها وآدابها على يد الأستاذ الدكتور فيشر، فنال شهادة التدريس في اللغات والتاريخ الإسلامي عام ١٩٠٨م، اشتغل بمجال التعليم الثانوي بمدينة درسدن عاصمة سكسونيا إلى نال شهادة الدكتوراه من جامعة ليبزج بأطروحة تحت عنوان (استعمال الحروف النافية في القرآن الكريم) سنة ١٩١١.

نال سنة ١٩١٢ إجازة في تدريس اللغات السامية والعلوم الإسلامية من جامعة ليبزج، وتعمق في دراسة الفقه والتاريخ الإسلامي والقراءات، دراسة القرآن الكريم وتاريخ اللغة العربية، أعطته جامعة ليبزج إجازة سنة ١٩١٤ إلى الشرق عوضا عن ترشيحه لدار الكتب المصرية بعدما ترأسها صديقه الدكتور شاده تجول في البلاد العربية منتبعا اللهجات الدارجة واستبيان الاختلاف بينها، وقد وضع كتابا باللغة الألمانية في جغرافية اللهجات العربية الدارجة في سوريا ولبنان نشره عام ١٩١٥، كما تعرف على اللهجة الآرامية في ضواحي دمشق (مدينة معلولة) من أفواه الناس وألف فيها بعض الكتب والرسائل منها:

- بعض المتنون في اللهجة الآرامية الدارجة مع ترجمة ألمانية نشر عام ١٩١٥.

- قاموس في اللهجة الآرامية الدارجة بمدينة معلولة نشر عام ١٩١٥.

كما ألف كتابا بعنوان أصوات لهجة دمشق ملحقا به بعض المتنون في هذه اللهجة نشره عام ١٩٢٤، كما سافر برجستراسر إلى حيفا والناصرة وطبرية.

ونظرا لظروف الحرب العالمية الأولى عاد برجستراسر إلى جامعة ليبزج، وفي مطلع عام ١٩١٩ عينته حكومة بروسيا أستاذا مساعدا للغات السامية والعلوم الإسلامية بجامعة كنجزبرج، وفي عام ١٩٢٢ انتقل إلى أستاذا لهذه العلوم بجامعة برسلاو، وفي سنة ١٩٢٤ انتقل أستاذا بجامعة هيدلبرج، ثم عمل أستاذا بجامعة ميونخ عام ١٩٢٦، وقد انتخب عميدا للكلية علم ١٩٢٨-١٩٢٩.

استقدمته كلية الآداب بالجامعة المصرية جامعة القاهرة حاليا أثناء العام الدراسي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ لالقاء سلسلة من محاضرات في التطور النحوي للغة العربية، وأعاد استقدمه عام ١٩٣١ -

١٩٣٢ لتقديم سلسلة من المحاضرات في نقد النصوص ونشر الكتب، توفي برجستراسر في حادث تسلق جبل لأنها كانت هوايته مع احد طلبته سنة ١٩٣٢.

### منهج برجستراسر جوتهل في كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب:

إن كتاب برجستراسر جوتهل هو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣١م، وكان يحضر هذه المحاضرات العديد من الأساتذة للاستفادة منها ومعرفة منهج الرجل، ومنهم الدكتور طه حسين، وقد قام الدكتور محمد حمدي البكري بإعدادها وتقديم على شكل كتاب ليستفيد بها عموم المشتغلين في هذا المجال، ولقيمة هذه المحاضرات العلمية لخبرة صاحبها وباعه في مجال تحقيق المخطوطات ونشر ونقد النصوص، وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسية هي:

الأول في النسخ، الثاني في النص، الثالث في العمل والإصلاح، وسنحاول التفصيل في هذه الأبواب بالشرح وكشف منهج جوتهل فيها:

#### ١- الباب الأول: النسخ:

يؤسس برجستراسر جوتهل لتقنية النسخ حيث يرى أن النسخ الخطية لكتاب ما متفاوتة وغير متساوية في القيمة فمنها ما لا يستفاد منها ولا يعتمد عليها في عملية التحقيق والتدقيق، فهي عديم القيمة، ومنها ما يعول عليه ويوثق منها، «ووظيفة الناقد أن يقدر قيمة كل نسخة من النسخ، ويفاضل بينها وبين سائر نسخ الكتاب، متبعا في ذلك قواعد منها:

١- أن النسخ الكاملة أفضل من الكاملة.

٢- والواضحة أحسن من غير الواضحة.

٣- والقديمة أفضل من الحديثة.

٤- والنسخ التي قبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل، وإلى غر ذلك. والقاعدتان الأخيرتان أهم من غيرهما»<sup>(١١)</sup>.

ويبين برجستراسر جوتهل أن لهذه القواعد والأسس شواذ، وقد أورد في كتابه العديد من النماذج لكتب، تعامل معها المحققون المستشرقون بطرق متعددة لطبيعة وضعها وتوفر نسخها، وقد أعطانا هذه الكتب مفصلا في طريقة تحقيقها ونشرها ونورد مثالا على تفصيل النسخة الحديثة على القديمة حيث يقول:

«كتاب اللع في التصريف لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمد بن السراج الطوسي الصوفي المتوفى سنة ٣٧٨هـ والذي نشره رينولد ألين نيكلسون في ليدن سنة ١٩١٤، وله مخطوطتان كتبت أقدمهما سنة ٥٤٨هـ وكتبت الأخيرة منها سنة ٦٨٣هـ والقديمة وإن كانت غير كاملة في الظاهر - فيها نقص في مواضع كثيرة تبلغ ثلث الكتاب، والموجود من هذه النسخة مرتب على ترتيب غير

مفهوم، فبنى الناشر طبعته على النسخة الحديثة، ولم يستعمل النسخة القديمة إلا في تصحيح النص»<sup>(١٢)</sup>.

ويقدم مثالا آخر على اعتماد جميع النسخ قديمها وحديثها والتعليقات التي زيدت عليها، حيث يبين ذلك: «وهناك كتاب آخر هو (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة هذا الكتاب سنة ٦٤٣هـ بدمشق، ومازال يجمع من كتب الأخبار والطبقات، ويزيد على الأصل ويغير ما وجد فيه من الأغلاط حتى توفي رحمه الله سنة ٦٦٨هـ، ويظن أن بعض تلاميذه أو نساخ كتابه زادوا على مسودته بعد وفاته وغيروا فيها، ولا نستطيع التمييز بين زيادات المؤلف وتغييراته، وبين ما زاده تلاميذه ونساخ كتابه أو غيره، وقد عمد الناشر إلى إيراد كل ما وجده في نسختين أو أكثر مما وجده في الروايتين لكي لا يسقط شيئا من متن الكتاب، ولكي ينتفع أهل هذا الفن بما أضيف إليه من زيادات، وأقدم نسخة لهذا الكتاب كتبت سنة ٧١٢هـ، أي بعد وفاة مؤلفه بأقل من نصف قرن، ولكنها كثيرة الخطأ، أحسن منها نسخة أخرى أحدث منها بثلاثة قرون كتبت سنة ١٠١٧هـ، فهي وإن كانت فاسدة في بعض أجزائها إلا أنه يظهر أنها نسخت من أصل قديم لأن أخطائها قليلة»<sup>(١٣)</sup>.

بهذه الكيفية يقدم لنا جوتهلّف النماذج والأمثلة على العديد من الحالات التي تصرف فيها الناشرون المستشرقون في تحقيق المخطوطات العربية، وهذا مراعاة لظروف النسخ وطبيعة شخصية الناسخ وحالة النسخة المعتمد عليها، معرجا على النساخ الذين كانوا ينقلون فقط دون فهمهم لبعض العلوم المنسوخة خاصة اللغة العربية الدقيقة في حروفها وحركاتها، فإن أي تغيير سيعرض المتن إلى التحريف والتحويل عن أصله، مع أن هذه المشكلة لا تشكل خطرا في اللغة اللاتينية التي توضع فيها الحروف إلى جانب بعضها البعض، حيث يوضح بقوله:

«وكان النساخ في جهلهم لا يفهمون شيئا مما كانوا ينسخونه من الكتب في كثير من المواضع، وشر ذلك في اللغة العربية أكثر منه في اللغات الأجنبية، لأن حروف اللغات اللاتينية مثلا تكتب حرفا حرفا، أما الخط العربي فحروفه متصل بعضها ببعض، لذلك فإن الناسخ لا يكاد ينسخ نسخا صحيحا إلا ما يفهم معناه، ولهذا نشهد كثرة التحريف في الأعلام، وهذا مشهور يشاهد في الكتب التاريخية، ونحن نستعمل هذه الحالة كمعيار للكتب العربية التي يوجد بها أعلام، فإذا وجدنا أن النسخة يقل فيها التحريف والتغيير في أسماء الأعلام، كان من الجدير أن ننق بها في سائر النص، ومثال ذلك كتاب ببس (Pappus) في الأعظام المنطقة والصم، وهو المقالة العاشرة من كتاب اقليدس في الأصول ترجمة أبي عثمان الدمشقي كتبه أحمد بن محمد ابن عبد الجليل بشيراز، وقد نشر المستشرق الأمريكي تومسن (Thomson) مع المستشرق الألماني (Junge) هذا الكتاب في باريس عن نسخة واحدة كان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، مع ذلك فنحن لا نجد فيها أي تحريف لأسماء الأعلام اليونانية في الكتاب مثل: ببس (Pappus) اسم المؤلف نفسه، وثايطس

الاثيني (theattetos)، وابولونيس (Apolonéos)، وبوثاغورس وأوقليدس إلى غير ذلك من الأسماء»  
(١٤).

لقد تحدث برجستراسر جوتهلّف عن النسخ وأحوالها وكيفية المقارنة بينها والطريقة التي ننتمي أحسنها، حسب مقاييس وأطر فنية معينة، كما تحدث عن شخصية الناسخ الذي له دور عظيم في سلامة المخطوط ووضح بالأمثلة والأدلة على نماذج عدة من المخطوطات مبينا نساخها وطريقة عملهم، مما يكشف عن سعة اطلاع الرجل وإلمامه الواسع والموسوعيّ بهذا الفن، والجميل أنه يقدم في كتابه طريقة تحقيق ونشر أغلب الكتب المحققة، ومظهر ومبينا الصعاب التي لحقت ناشيرها وكيفية تخطيها، وهذا يدلّ تمكنه من هذا العلم.

## ٢- الباب الثاني: في النص:

إن العناية بالنسخ بمختلف أوجهه ومراحلها، وذلك لغاية تهذيب نص الكتاب والإحاطة به، وهذا ما ستكمله المرحلة الثانية وهي النص، ويثمن برجستراسر جوتهلّف هذه المرحلة لسببين حيث يقول: «الأولى: أنه من النادر أن يمكن ترتيب سلسلة لنسب النسخ، بحيث يحتوي على النسخ كلها وتبين تقارب بعضها من بعض بصورة قاطعة، لأننا نجد في بعض النسخ أو كلها لا يتضح نسبتها والعلاقة بينها أو نجد في الواحدة رواية ممتزجة من أصليين أو أصول، أو نعثر على رواية ثانوية مطولة تحتاج إلى الالتفات إليها، ففي هذه الحالات كلها اضطررنا إلى أن نختار بين كل موضع وموضع أصحّ القراءات المروية فيها، ونستدل على صحيح الاختيار بحجج تختص بقراءة واحدة فقط لا تعم النسخة كلها، فنتساءل أي القراءات أصحها معنى وعبارة أليقها بالمؤلف وغرض كتابه وأسلوبه.

والجهة الثانية: أننا لو سرنا في ترتيب الرواية إلى التحقق من الرواية الأصلية، أو لم نجد إلا نسخة واحدة، فلا حاجة بنا إلى اختيار بعض القراءات: هل هي صحيحة أو غير صحيحة لو سعنا أن نشك في أنه، هل القراءة الأصح هي الأصلية التي كتبها المؤلف أو هي أصلية بالنسبة لغيرها؟ وتخالف ما كتبه المؤلف من بعض الجهات الأخرى، وهذا الشك لا يزول إلا إذا كانت الأصلية التي كتبها المؤلف موجودة، وهذا نادر الوقوع، وإلا فيلزمنا نقد كل القراءات الأصلية بالنسبة التي نتجت عن ترتيب الرواية، أو كل ما يقرأ في النسخة الوحيدة إن لم يكن للكتاب إلا نسخة واحدة فقط، ويلزم نقد القراءات كلها إن لم نكن قد وصلنا إلى حكم بأن إحدى تلك القراءات أقرب إلى الأصل من غيرها»  
(١٥).

وقد وضح برجستراسر بالتفصيل والشرح وعقد الأمثلة طريقة نقد النصوص وتقويم الأخطاء التي وقعت أثناء النسخ وما نجم عن مختلف الأحوال التي أدت بالناسخ إلى الوقوع في الأغلاط التي يجب على المحقق التنبيه لها وذلك بالتدقيق فيما ورد في النص وتحري القراءة الصحيحة، فلا نقد إلا

بعد فهم، وإذا لم نفهم النص فكيف يمكننا التمييز بين الصحيح وغير الصحيح، ويعتمد النقد والتصحيح على أسس هي:

أ- معرفة اللغة والأسلوب الذي بني عليه النص أو الكتاب.

ب- التنقيط وهو من أهم الوسائل التي يستعين بها الناقد في التمييز بين النصوص وفهمها ويقول برجستراسر أم الثقة في النقطة أقل من الثقة في الحرف فإن خطأ النقطة أكثر من خطأ التصحيف.

ج- التقليل وهو التعبير عن المعنى يعطف الضدين على بعضهما، لأن المعنى يفلق إلى فلقين (وصاحب كتاب الرد على ابن المقفع يحب التقليل ونجد به في ذلك أمثلة منها (بين الخواص العرب والعوام) إي كل الناس، (وممن أطاع وعصى) أي كلهم، ومنها بعثه الله إلى كل فصيح وأعجمي) أي كل الناس<sup>(١٦)</sup>.

د- إصلاح التشكيل

هـ- أخطاء النساخ

و- التحريف

ز- الخطأ في الإملاء

ح- الأخطاء النحوية

ط- الخلل في النسخ

### ٣- الباب الثالث في العمل والإصلاح:

يختص هذا الباب في العمل الذي يقوم به المحقق للكتب القديمة، وقد أشار برجستراسر في هذا المجال إلى اتباع كتاب العالم الألماني ستاهلين (O.Stahlin) المتخصص في علم الآداب اليونانية والرومانية القديمة، إلا أنه ركز شرحه على الآداب العربية القديمة، وتقوم تقنية العمل والإصلاح على أسس أهمها:

أ- معرفة ما إذا كان الكتاب قد سبق نشره، وذلك بالاطلاع على الفهارس والمعالم المصنفة للكتب المنشورة والنشرية التي تظهر الكتب التي طبعت والمخطوطات التي حققت مثل معجم المطبوعات العربية والمصرية، ونشرة المطبوعات المصرية، ويقترح برجستراسر مراجعة كتاب كارل بروكلمان تاريخ الآداب العربية فهو كتاب جامع وموسع عن الكتب العربية فيه جهد حقيقي أودعه صاحبه فيه يحث يذكر الكتب وأصحابها ونسخها وعدد مرات وتاريخ نشرها، كما يجب معرفة فهارس المكتبات التي تضم المخطوطات مثل مكتبة الحميدية وأيا صوفيا وبيا زيد وعاطف أفندي ولاله لي وراغب باشا بأستنبول<sup>(١٧)</sup>، وغيرها ممن تضم أكبر عدد.

وفي هذا الصدد هناك جهود حقيقة في وضع فهارس للمخطوطات العربية منها إنشاء «جامعة الدول العربية معهدا للمخطوطات العربية، مستخدمة في ذلك طريقة الميكرو فيلم القليلة النفقات، وقد نشر (فهرس المخطوطات المصورة) مشتملا على أسماء المخطوطات العربية التي صورها معهد



المخطوطات من مكتبة استامبول ومصر حتى سنة ١٩٥١، القاهرة ١٩٥٤ وأنشأت له مجلة للبحث في شؤون المخطوطات والتعريف بها والتعريف بالدور التي تحتفظ فيها هذه المخطوطات» (١٨).

كما يتعين علينا سؤال رجال العلم وأهل التخصص عما يعرفونه عن نسخ الكتاب ومثال ذلك «كتاب (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) لياقوت الحموي الموفي سنة ٦٢٦هـ الذي نشره مرجليوث، فإنه عندما بدأ في نشره لم يكن لديه إلا قسم منه قريب من نصفه ثم حصل على باقي الكتاب بسؤال رجال العلم فوصل إليه بعضه من بيروت وبعضه من الهند ولم تكن واحدة مذكورة في أي فهرست» (١٩).

ويواصل برجستراسر تقديم الامثلة المتنوعة من الكتب المنشورة وطريقة أصحابها في الإصلاح والعمل مثبتا المنهج المتبع وراسما للطلبة الطريق الذي به ينفذون إلى تحقيق النسخة التي بين أيديهم، وقد قدم أيضا تقنيات متعددة في ذلك وهي:

أ-المقابلة وهي مقابلة النسخ المختلفة بعضها ببعض وهي طريقة كانت متعبة ومكلفة في القديم، لأنها تلزم المحقق على السفر إلى مكان النسخ ومقارنتها بما لديه، أما الآن فقد حلت الصور الشمسية ذلك، وتقنية الميكرو فيلم ذلك لكنها تحتاج إلى الجهاز فلا يمكن قراءتها بالعين المجردة.

ب-الإملاء العربي يجب على المحقق الاطلاع على مختلف الخطوط وطريقة كتابتها، ويكون ملما بالإملاء العربي وتاريخ الخطوط العربية وطريقة تطور الحروف في الكتابة، فقد كانت قديما تكتب إتباعا لرسم القرآن الكريم، كما يؤكد برجستراسر أن الكتب المحققة في أوروبا تختلف عنها في المشرق فالأوربيون يرصفون الحروف حرفا حرفا أما المشرقيون فيعون شكل وأصل كل حرف.

ج-الترقيم: وهي مسألة تابعة للإملاء وهي توظيف العلامات للفصل بين الجمل «فما يوجد في الكتب الخطية من ذلك قليل، للتفريق بين الفصول الطويلة والمتن والشرح، فلا شك أننا عند طبع الكتاب، نحافظ على كل هذا ونكمل الناقص في المواضع الموازية، أما غير هذا فيختلف فيه العلماء وأكثرهم حتى في الشرق يذهب إلى إدخال النقط وغيرها في الكتب القديمة، ولا أرى في ذلك فائدة إلا في الأحوال النادرة، ذلك أن الناس تعودوا على قراءة الكتب الشرقية بدون ترقيم، ولا يجدون مشقة في بعض المواضع الصعبة، وفي زيادة الترقيم خطر الخطأ، إذ رأيت في بعض الكتب الغربية التي نشرت أخيرا، بعض الجمل قطعت قسمين بنقطة دالة على نهاية الجملة، لأن الناشر لم يفهم تركيب الجملة فظنها تامة قبل تمامها، والنثر لا بد من طبعه على الترتيب الوارد في الأصل، أما الشعر فلا بد من طبع كل بيت في سطر، وفي السجع نضع نقطة بعد كل قافية» (٢٠).

د-الإرجاع: وهي توثيق الكتاب وتعيين «الموضع الواحد من الكتاب بحيث يجده المراجع بسهولة وسرعة فلا بد لمن يريد أن يعين موضعا في الكتاب من ذكر الصفحة والمجلد وهذا لا يكفي في أكثر الحالات لأننا لم نفعل شيئا لتحقيق ذلك الغرض، استغرق البحث عن كلمة أو علم زمنا طويلا، وإذا كانت الصفحة طويلة فلا بد من ذكر عدد السطر ولذلك نضع بجانب السطور أرقامها» (٢١)، وهو ما

يصطلح عليه اليوم بالفهارس العامة فهرس الأعلام والأماكن والموضوعات وذلك بتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول وأقسام<sup>(٢٢)</sup>، وتخصيص مجلد خاص بالفهارس حتى يسهل على المراجع الوصول إلى قصده دون مشقة أو عناء.

#### خاتمة:

قدم برجستراسر جوتهلّف طريقة عمل منظمة وممنهجة تشكل تصورا دقيقا ومضبوطا لفن تحقيق المخطوطات العربية، معتمدا في ذلك على خبرته الواسعة في مجال آداب اللغة العربية، ومعرفة العميقة باللغات الشرقية القديمة وغيرها من اللهجات العالمية التي تؤهله فعلا للخوض في علوم وآداب الشعوب، وقد استطاع برجستراسر تقديم منهج متكامل لعمل نشر الكتب من خلال كتابه الذي شكل مجموعة من المحاضرات القيمة والذي أعده وقدمه الدكتور محمد حمدي البكري، ولقد حاولت الدراسة تلخيص منهجه المحكم والمتشعب في الكتاب بالأمثلة والأدلة الواضحة التي توضح وتخط عمل المحقق.

#### الهوامش:

<sup>١</sup> - جوتهلّف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥، ص ١١.

<sup>٢</sup> - نفسه، ص ١١.

<sup>٣</sup> - نفسه، ص ١١.

<sup>٤</sup> - ينظر: أحمد محمد الخراط، محاضرات في تحقيق النصوص، المنارة للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٨٤، ص ٢٦.

<sup>٥</sup> - مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨، ص ١٤٢.

<sup>٦</sup> - R.Blachère Et J.Souvagat t, Regles pour édition et traduction des textes arabes, Paris, ١٩٤٥.

<sup>٧</sup> - ينظر: عبد اللطيف محمد العبد، مناهج البحث العلمي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٧٩، ص ٣٥.

<sup>٨</sup> - جوتهلّف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص ١٧.

<sup>٩</sup> - نفسه، ص ١٣.

<sup>١٠</sup> - ينظر: جوتهلّف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، تقديم، ص ٥٥.

<sup>١١</sup> - نفسه، ص ١٤.

<sup>١٢</sup> - نفسه، ص ١٤.

<sup>١٣</sup> - نفسه، ص ١٥.

- 
- <sup>١٤</sup> - نفسه، ص ١٧-١٨.
- <sup>١٥</sup> - نفسه، ص ٤٨-٤٩.
- <sup>١٦</sup> -نفسه، ص ٥٧.
- <sup>١٧</sup> - محمد ماهر حماده، المصادر العربية والمعرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨١، ص ١٠٥.
- <sup>١٨</sup> - جوتهلّف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص ٩٢.
- <sup>١٩</sup> - نفسه، ص ٥٧.
- <sup>٢٠</sup> - نفسه، ص ١٠٥.
- <sup>٢١</sup> - نفسه، ص ١٠٦.
- <sup>٢٢</sup> - ينظر: صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٦، ص ٣٥.